# مقدمة الشيخ مشهور حسن آل سلمان

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا، ومن سيئات أعمالنا.

أما بعد:

فقد قلت في مجالس كثيرة -في عدَّة بلاد- لعَدَد من السائلين، عن علاقتي مع فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي: إنني من أَعرَف الناس به، وهو من أَعرَف الناس بي، وبيننا علاقات وطيدة، ومحبة أكيدة، ودامت علاقتنا أكثر من أربعين سَنة، وأول لقاء جمعني به في مكتبة أحمد عطية مع شيخنا الإمام الألباني حين جاء الأردن زائرًا قَبل أن يستقر بها، وكان ذلك في سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

واستمرت العلاقات بيننا منذ ذلك الزمان إلى وفاته -رحمه اللهُ تعالى- في يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول لسنة ١٤٤٢هـ-١٥ نوفمبر ٢٠٢٠م، بعد إصابته بفيروس كورونا، وأرجو الله أن يكتبه عنده شهيدًا.

وما كنتُ أظنّ أن أكتب عنه بعد وفاته، وكان الغالب على ظني موتي قبله، وكان لا يساورني أدنى شك في ذلك، «إي والله! إنه الخل الوفي في الشهود والغياب، والقرب والبعد، والحياة والممات، ولكن قدر الله أن أعيش بعده،

وأتجرع مرارة فقده».

إن الشيخ عليًّا الحلبيَّ كان أُمَّة في دعوته، وعلاقاته، ومتابعته لمحبي الدعوة السلفية ومبغضيها، ومتابعًا لمن يكتب عنها وكان نشيطًا في الذب عنها، في وسائل التواصل، فيما يرى المصلحة الشرعية في نشره، أو بالرسائل الخاصة لبعض رجال الإعلام والصحافة والمسؤولين في التوجيه والتقويم، بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

يعجب العارف بأحوال الشيخ، وضيق وقته، وكثرة واجباته، والمهام التي كان يتحملها، من إدارته وفطنته وحرصه واستفادته من كلِّ ما هيّأ الله له من الخير!

فكان يطلب مني عند زيارتي له إبداء نصيحة لأولاده، وهذا من أسلوبه في معالجته للأخطاء، وتربيته القائمة على السماحة واليسر، مع الحب لذويه ومحبته لهم.

نعم، هنالك فروق بيننا، وكنتُ أفهم بعض الأمور فهمًا ناقصًا، وأما بعد وفاته ففهمت بعضها فهماً آخر، على وجه فيه تمام وكفاية!

كنتُ أراه متساهلاً في وقته، فقلبه وبيته ومكتبته مفتوحة لكل قاصد، وهاتفه مشغول لكل سائل، ووقته مبذول لكل صاحب حاجة، ولو كانت نفسية غير مادية، وكان يُسِرُّ لي في أن الناس بحاجة إلى مداراة، وعلاج نفسي!

وحياته تسير على هذا النمط، وتتعاقب الأيام، وتتقدم على هذا المنوال، وكنت أشفق عليه، وأقول له: يا شيخ علي! متى تتفرغ لـ«فتح الباري»؟ وأنى

لنا أن نحظى بتعليقك وخدمتك لـ«مسند الإمام أحمد»؟ ولم يكن «الفتح» ولا «المسند» -يومذاك- مطبوعًا بتحقيق، وليس بين أيدينا من «المسند» إلا طبعة العلامة أحمد شاكر.

وكان الشيخ في فترة من حياته مترددًا بين تكميل عمل العلامة شاكر، أو البدء به استقلالاً ، مع الاستفادة من عمل شاكر، ومن جهود شيخنا الألباني في خدمته العظيمة للسنة النبوية، وما وعاه قلبه من ملازمته وكثرة مساءلته!

وكان يجيب، ونفسه مطمئنة: نبذل ما استطعنا، والباقي عند الله -عز وجل-!

ولم يكن يعلم أن الباقي من أجله قليل، وأخفاه الله عنه لحكمة عظيمة، بل لحكم خفية!

وأكتب هذا، لتقرير أمر، كان سبب حزني الشديد على وفاته، التي كانت صاعقة على نفوسنا، ونفوس محبيه، فأقول:

إن العلماء مع كتبهم على درجات، وهم أصناف، فمنهم من انصرف إلى التأليف، وجوّده، وأعطاه حقه من كثرة البحث والفتش، فهؤلاء كتبهم فاقتهم.

ومنهم من كتب من رأس القلم، وانشغل بمسائل الوقت، وعالج المدلهمات ليرفع الظلمات، وهؤلاء أصناف -أيضًا- مع كتبهم.

والذي أحلف به غير حانث، أن الشيخ عليًّا -رحمه اللهُ الرحمات المتتابعة إلى يوم الدِّين- ممن فاق ما كتب وصنف، وزاد عليها، ويظهر هذا لكل أحدٍ ممن قرأ كُتُبَه، وجالسه وباحثه، ولا أشك في هذا قيد أنملة.

كانت مجالسنا التي نجتمع فيها، سواء في لقاءات دعوية، أو بمناسبات اجتماعية، أو عند قدوم أضياف لنا، لا حديث لنا إلا في المسائل العلمية، والعويصات منها، والمشاكل التي تواجهنا في التحقيق، وما باحثته في واحدة منها، أو في أي لون من ألوانها إلا وجدته مفيدًا، وعلى اطلاع حولها، ولم أعدم بفائدة منه، ولو إحالة على بحثٍ لعالم، أو تعرض كتاب لها! فرحمه الله -تعالى- رحمة واسعة.

ومن العجيب الغريب أن الشيخ عليًّا ليس مطَّلعًا على الأبحاث الشرعية، وإنما هو مطّلع على الماجريات السياسية والاقتصادية والطبية والرياضية، وله إطلالة في معرفة ما يجري مع أهل الفن!

الشيخ علي لا يَردُّ يدَ أحد ممن يريد منه الفائدة، سواء كان محسنًا أو مسيئًا، برًّا أم فاجرًا، مسلمًا أم كافرًا، فله عدة لقاءات مع بعض المستشرقين، وغير واحد من أصحاب النفوذ والسلطة، بشتى اتجاهاتهم ومذاهبهم.

فهو صريح، ولا يكتم شيئًا، ويتكلم بأريحيته، جاءني مستشرق يكتب أطروحة عن علاقة واحدٍ مقدسي من بلادنا الأردن الحبيب بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فطلب اللقاء، فاعتذرت، وتشفّع له الشيخ علي من أجل أن ألقاه، وفاجأني بحضور درس التفسير اليومي بعد الفجر، ولما

دخلت المسجد مع الإقامة، وجدته قد خرج إلى باحة المسجد، ونظرت فعلمت من شكله أنه الذي يطلب اللقاء، وقدر الله لي أن يكون الدرس حين وصلنا من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ثم التقينا بعد الدرس، فقلت في نفسي: من حسن الطالع أن تكون هذه الآية عند قدوم هذا الباحث، فطمعت بإسلامه، وأخذتُ أسرد محاسن الإسلام، والمقارنة بينه وبين النصرانية، فعجبت من الجواب: إن هذا النصراني (كاثوليكي سلفي)! ينكر على الكنيسة وأصحابها تصوير الأصنام وعبادتها!

المهم أنه أخذ بالسؤال عن صاحب لنا قديم، انفكت أواصر المحبة معه، لأسباب!

فقلت: فلان الذي تسأل عنه أخونا، وما لك وله، واسأل عما يفيدك ويلزمك في أطروحتك؟

فاستغربت لما قال: إني أعرف كل شيء بينكما، وقد أُخبرت بذلك على وجه فيه بيان وتفصيل!

فعلمت ذلك، واستغربت من هذه الجرأة!!

ومما سمعته من فضيلة الشيخ علي –رحمه اللهُ تعالى– قوله لي –والله يسمعني ويبصرني ويراني وأنا أكتب هذه الكلمات–:

أنا (الشيخ علي) الذي كنتُ أقول: من زار مكة المكرمة ولم يزر فلانًا

-وسمى شيخًا من مشايخ المدينة ممن اضطر إلى تركها وانتقاله إلى مكة المكرمة- فليس بسلفي!

وكنت أُهاجم هذه العبارة في كثير من اللقاءات، وكان ذلك في مجمع من الناس، والشيخ علي في بعضها بجانبي ومحاضرًا معي، وأقول -وما زلت-: إن السلفية دِين الله النقي، الذي أنزله الله على قلب النبي ﷺ، وليست هي حزبًا ولا جماعة، وليس لها مجلس تأسيسي، وهو طريق النجاة عند الله -عز وجل-!

ومن ذهب إلى مكة المكرمة، ولم يلق النبي ﷺ، فقد شرف الصحبة، ولكنه ناج عند الله -عز وجل-، ولا يمكن لأحد أن ينفي السلفية عنه!

كان صدره واسعًا، ويسمع انتقادات ما يقول، وهو يبتسم، ولكنه إذا سمع باطلاً ؛ هاج وماج، واشتد غضبه، وارتفع صوته!

الكلام عن فضيلة الشيخ علي واسع الجوانب، وهو كثير، وله ذيول، ولا سيما تواضعه، وهضمه لنفسه، ولين جانبه.

وبهذه المناسبة، فإن الذي يعرفه من كتبه، ولا سيما ردوده واعتراضاته، يحسبه شديدًا، ولكنه -في الحقيقة- بخلاف ذلك، فهو سهل حتى مع مخالفيه.

وكنت كثيرًا ما أتكلم أمامه عن ضرورة الاقتصار في بعض الردود لا على كلها، وكنت أحثه أن يكتب عن منهج شيخنا الألباني في الردود، وأنه اقتصر في ردوده المفردة على عدد قليل، واكتفى في مقدمات كتبه وتخريجاته في الرد

على من أساء أو أخطأ، وكان جوابه الذي لا ينخرم، ويردده كثيرًا: (الرد يجري في دمي)!

وإن صنيعه في ردّه القاسي، ولسانه الدافي، ما قيل في الحافظ ابن حجر العسقلاني: إنه كان قلم ابن حجر سيئًا في مثالب الناس، ولسانه حسنًا، وليته عكس، ليبقى الحسن[1].

والحقيقة التي لا مراء فيها أنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، لكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله.

والذي أعلمه -بل أتيقن عليه- أن أواخر حياة الشيخ علي الحلبي -رحمه الله تعالى- هي خير الأيام التي قضاها في العلم والدعوة إلى الله -تعالى-، والله حسيبه.

فكان حليمًا، صبورًا، ذا أناةٍ، معتبرًا للخلاف الذي له وجه، غيُورًا على شرع الله -تعالى-، محبًّا للناس، متفانيًا في قضاء حوائجهم، ماشيًا في حاجاتهم.

فرحمه الله رحمة واسعة، وأنزل على قبره شآبيب رضوانه.

أما بعد:

فهذه دروسٌ ألقاها فضيلته فيما يزيد على واحد وستين مجلسًا، درّس فيها

(١) «كشف الظنون» (١/ ٦١٨).

«اختصار علوم الحديث» لابن كثير، وشرحه المسمى «الباعث الحثيث» للعلامة أحمد شاكر، فرّغَها أخونا الدكتور أبو أنس محمد الرمحي -حفظه الله تعالى-، وراجعها، وعرضها على الشيخ علي رَحِمَهُ اللَّهُ قبل وفاته.

وللشيخ جهد عظيم في التدريس، فقد شرح في دروسه في مساجد عديدة، عدة كتب في المصطلح، مثل: «غرامي صحيح»، و«البيقونية» و«ألفية السيوطي»، و«جُمّاع العلم» للإمام الشافعي، و«الموقظة» للذهبي، و«نخبة الفكر» وشرحه «نزهة النظر»، وشرح عددًا من الكتب الفقهية، مثل: «الإقناع» لابن المنذر، و«منهج السالكين» للسعدي.

وأما الكتب العقدية التي شرحها، فكثيرة، مثل: «تجريد التوحيد المفيد» للمقريزي، «شرح السنة» للبربهاري، «العقيدة الواسطية» لابن تيمية، «العقيدة الطحاوية» لأبي جعفر الطحاوي، «الإبانة الصغرى» لابن بطّة، وأما «صحيح البخاري» فقد درس منه مباحث، من أهمها شرحه للكتب الآتية، (بدء الوحي) و(الإيمان) و(الاعتصام بالكتاب والسنة) و(العلم).

ودرس -أيضًا- «النبذ في أصول الفقه» لابن حزم.

وما اجتمعت وإياه إلا وتذاكرنا بدقائق المسائل، ولعلنا نتباحث في نوازل ومشاكل، ومما أعجبه قولي فلتة دون ترتيب أو استحضار: (العلماء يجعلون المشاكل مسائل، والهمج والرعاع يحولون المسائل إلى مشاكل).

ولا تنس دعابته -رحمه الله تعالى-، وملاطفته، ولا سيما لأضيافه، مع كرمه وتواضعه.

وأخيرًا، فجزى الله أخانا أبا أنس على جهده هذا، وجعله في صحيفة أعماله، ورحم الله فقيدنا وأخانا وحبيبنا فضيلة الشيخ علي، وجعله في المرضيين، وألحقنا به في الصالحين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب
أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان
الأردن - عمان
٢/ ذو الحجة/ ١٤٤٢هـ